

دور المرأة الجزائرية في تسهيل الوقف

أ. زهرة طيبان - رئيس مكتب

آنذاك هذه الهبة التي تعطى دون تمليك فيوقف صاحب الملك ملكه للانتفاع فقط دون تملكه لغيره وهو ما اصطلح عليه بالوقف

أولا: التعريف بالوقف لغة واصطلاحا

فبعض الفقهاء يعبر عنه بالحبس، وبعضهم بالوقف، غير أن الوقف عندهم أقوى من الحبس، وهما في اللغة مترادفتان، فيقال وقفته، ويقال حبسته، والحبس يطلق على ما وقف ويطلق على المصدر وهو الإعطاء.

والوقف عند المالكية:

وهو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا على، أنه متى تم الوقف فإنه يمنع على الواقف التصرف في العين الموقوفة، مع إلزامية التصديق بالمنفعة مع بقاء العين على ملك الواقف، أي أن الوقف لا يخرج العين الموقوفة من ملك الواقف بل تبقى في ملكيته، لكن يمنع عليه التصرف فيها

برزت شخصيات عظيمة في التاريخ الجزائري عظمت حضارته العربية الإسلامية، لم تكن عظمتها لمواقف بطولية خاضتها في معارك شأن أبطال الجزائر الذين كتبوا أسمائهم بدمائهم الطاهرة، وإنما لمواقف بطولية في التضامن والتعاون الاجتماعي مساهمة بما تملك لمساعدة الفقير والمحتاج، إيماننا بعقيدتهم وتطبيقا لتعاليم دينهم وإعطاء درس لحقبة العلم والعلماء ونخبة المثقفين بحكمة ورجاحة العقل لمن عاشوا في حقبة الجهل والأمية، ضد قساوة الطبيعة وما تحويه وكسر نظرة المجتمع التي تلزم أوامره الانصياع والتطبيق فقط، النظرة الذكورية للمرأة على أنها الأنثى فقط لا يمكنها أن تتعدى تصرفاتها أصوار المنزل وشؤونه، إنهن نسوة آمنوا برسالة ربهم وساروا على نهج أجدادهم منافسين بذلك الرجال فكتبت أسمائهن في تاريخ العظماء بواهبين لما ملكوا خدمة لمجتمعهم الذي كان في أمس الحاجة لأبسط شيء يقدم

المسجد، يعني مسجد المدينة شهراً،
وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ،
وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيَهُ
أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَهَيَّأَ
لَهُ أَثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ،
وَأَنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا
يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ).

وقد سار الخلف الصالح من مجتمعنا
على نهج أسلافه فقد عرف الوقف في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول
وقف استثماري الحوائط السبعة من
مال المخيريق بعد غزوة أحد ، ومخيريق
هذا كان من يهود بني قينقاع، مُقيما في
بني النضير له بها عقارات سبعة تصدق
بها على النبي صلى الله عليه وسلم ليفعل
بها ما شاء، فوقفها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سبيل الله .

ويقال بأن صدقته هذه هي أول
وقف عملي في الإسلام ويُشكل عليه بأن
وقف المسجد والآبار أسبق منه ، ويمكن
الجمع بأن يُحمل الأول على أنه أول وقف
استغلالي، وأما بساتين مخيريق فهي أول
وقف استثماري تجاري

بالتصرفات الناقلة للملكية ، كما لا يجوز
له الرجوع فيه والوقف ثابت في الشريعة
الإسلامية لقوله تعالى ﴿لَنْ نَّأُلُوا آلَ الْبِرِّ
حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (92) آل عمران

92

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا
مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من
ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع
به، أو ولد صالح يدعو له»، وقد ذكر
العلماء أن الصدقة الجارية هنا: هي
الوقف، لجريان العمل بها مع جريان
أجرها بسبب بقاء عينها.

وفي مسند أبي يعلى الموصلي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال «الخلق
عيال الله فأحبههم لله أنفعهم لعياله» .

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله
عنهما- عن النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام-
أَنَّهُ قَالَ: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ
لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
سُرُورٌ يَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ
عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ
عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي
حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا

ثانيا: أول الواقفات

أ- زوجات النبي ﷺ قدوة النساء الصالحات

يمكن الإشارة إلى أن أول الواقفات هن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك :

1 - **وقف لعائشة** ﷺ زوج النبي ﷺ أنها اشترت دار وكتبت « اني اشتريت دار وجعلتها لما اشتريتها فمئنا مسكن لفلان.....ثم يرد ذلك إلى آل أبي بكر

2 - **صدقة أم سلمة** ﷺ زوج النبي ﷺ حدثنا محمد بن عمر الواقدي حدثنا موسى بن يعقوب عن عمته عن أبيها قال شهدت صدقة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حبسا لا تباع ولا توهب

3 - **صدقة أم حبيبة** ﷺ زوج النبي ﷺ وابنة ابي سفيان رضي الله عنهما أنها تصدقت حبسا لا يباع ولا يوهب ولا يورث

4 - **صفية بنت حيي** ﷺ زوج النبي ﷺ فعن عبد الله بن بشير قال : قرأت صدقة أم حبيبة ابنة أبي سفيان وزوج النبي صلى الله عليه وسلم التي بالغابة أنها : «تصدقت على موالها وأعقابهم وعلى

أعقاب أعقابهم حبسا لا تباع لا توهب و لا تورث تخاصم من يرث فأنفذت

ب- الصحابيات

1 - **تصدقت أسماء بنت أبي بكر الصديق** ﷺ بدارها صدقة حبس لا تباع ولا توهب ولا تورث فقد جعلتها وقفا على أبنائها

2 - **ما تصدقت به أم عبد الله بنت سلمة بن مغل الأنصاري** والذي أصبح سوقا تباع فيه الدواب

ج- زوجات الخلفاء:

عرفت بعدها الأوقاف اتسعا وبعدا في عهد الخلفاء في مجال الخدمات ومن أهمها خدمة الطرق بتزويدها بالماء لحجاج بيت الله ومن أهم ما تم وقفه في عهد الخليفة عثمان بن عفان حيث أن والدته عامر بن عبد الله بن كريز حفرت نهرا في وسط البصرة من مالها الخاص سمي باسمها نهر أم عبد الله لسقاية الناس في البصرة .

1 - **زوجة الخليفة المنصور المسماة الخيزران** من أوائل نساء العصر اهتماما في هذا المجال حيث حفرت نهر المحدود

بالإضافة إلى حوالي 16 إلى 17 محطة مزودة بالبرك لسقاية الحجاج حيث لا يسعنا المجال لذكرها كلها وكذلك أبار ومساجد .

وقد وجد نقش كتابي بمكة يذكر فيه اسمها بعد البسملة وعبارة بإجراء هذه العيون لسقاية الحجاج وأهل حرمة ، وقد تغنى بهذه الخدمات الجليلة المقدمة من طرف هذه السيدة الفاضلة الكثير من الشعراء.

ثالثا: الوقف في الجزائر

تطور الوقف وازدهر في العهد العثماني، حيث تميزت هذه الفترة بتكاثره وانتشاره في مختلف أنحاء الجزائر ، وذلك بفعل الظروف التي عرفتها البلاد من أواخر القرن 15 حتى مستهل القرن 19 والتي شهدت ازدياد الطرق والزوايا التي لعبت دورا هاما في توسيع الروح الدينية لدى الجزائريين وكانت الدرع الحصين للمجتمع ضد كل ما يمس عقيدتهم خاصة ظروف الحروب وتكرر الكوارث الطبيعية بالإضافة إلى كون الأتراك وجدوا في الرابطة الدينية عاملا قويا في بسط نفوذهم وتدعيم مكانتهم

قرب الأنبار وسمته الريان، كما شاركت خادمتها المسماة خالصة في وقف ماء السبيل وإنشاء البرك والمصانع في بعض محطات طريق الحج والمشاعر.

2 - السيدة زبيدة زوجة الخليفة

الرشيد تعتبر من أهم الإنجازات في هذا المجال الانجازات التي تمت على طول الطريق بين مكة والكوفة حيث لاحظت السيدة زبيدة من خلال سفرها لأداء مناسك الحج العراقيين التي يواجهها الحجيج أثناء تنقلهم من الكوفة إلى مكة فقامت بإصلاح الطريق وتزويده بالماء وبأماكن لاستراحة الحجيج حيث قيل عنها المؤرخون بأن إنجازاتها هتة فاقت زوجها الخليفة ولعظم ما قدمت هذه السيدة فقد أطلق المؤرخون على هذا الطريق اسم **درب زبيدة** ومن أهم إنجازات السيدة زبيدة

أ - **حضرت بركة** بين العذيب والمغيثة عرفت ببركة أم جعفر

ب - **الزبيدية** ، عبارة عن منزل يقع بين العذيب والمغيث هذه المحطة زودتها ببركة وقصر ومسجد

ج - **محطة الشقوق** أجرت بها عينا

وأحواش وبساتين ، فتراثنا الشعبي يزخر بهته النسوة الأمر الذي يجعلنا نعزببنات الجزائر اللواتي سجلت أسمائهن في ذاكرة التاريخ.

أ- بعض الأسماء الشهيرات لنساء جزائريات

السيدة العالية حمزة (نموذجا)....

1 - أصل إسم مقبرة العالية بالجزائر العاصمة والذي يعود إلى هذه السيدة الصالحة التي أوقفت قطعت الأرض خصصت لدفن موتى المسلمين .

وهي من قبيلة أولاد نايل ولدت بسور الغزلان عام 1886 بولاية البويرة من أب يدعى محمد بوترعة وأمها فاطمة شعبان وثلاثة إخوة كانت عائلتها ثرية بعد وفاة أبيها وزعت الثروة على الإخوة الثلاث فعملت السيدة العالية على استثمار نصيبها من الثروة في ممارسة الأعمال التجارية وزيادة ثروتها لتكون لها مصدرا بعد ذلك في تملك العديد من الأراضي بالجلفة ومنطقة سيدي عيسى وبوسعادة بولاية المسيلة وكذا الجزائر العاصمة.

لدى الأهالي، فجعلوا من الأوقاف السبيل للتقرب من رجال الدين وإظهار التقوى، حيث شملت الأوقاف الأملاك العقارية والأراضي الزراعية والدكاكين والصهاريج وأفران الخبز والمزارع والبساتين ولعل أشهر الواقفين هم من أوقفوا الأملاك العقارية من الرجال لكن ما يثير الدهشة كما سبق ذكره هو العنصر النسوي المنافس للرجل في تلك الفترة وما بعدها فلم تشتهر النساء التي أوقفت أملاكهن لنقص النشر في هذا الجانب ، كما لم يتم تداولها في الدراسات التاريخية والمتصفح للكتب والمراجع التاريخية لا يلقى أثرا أهم وأشهر العناصر النسوية في تاريخ الوقف الجزائري كما يعود ذلك لسبب رئيسي وهو تحفظ الكثير من النساء في تلك الفترة حول ما أوقفته باعتباره صدقة كان الهدف منها هو الجزاء والثواب ولنيلهما تبقى هذه الأعمال في باب السر والكتمان ، إلا أن بعض المؤرخين ذكروا النساء التي أوقفت أملاكهن في هاته الفترة ومنهم الدكتور ناصر الدين سعيدوني الذي تناول العديد من النساء الوقفات للأملاك بمختلف أنواعها من جنائين وبحيرات

1932 عن عمر 46 سنة، دفنت بمسقط رأسها بسور الغزلان، وكتب على قبرها «هنا ترقد الولية العالية».

ب- من النساء الواقفات لأملاكهن غير معروفات

1 - السيدة نفيسة ابنة يوسف، حبست جنة بحيدرة عام 1192 (فحص باب عزون) على نفسها لتنتفع بمردودها ويشاطرها فيه بعض أئمة المذهب الحنفي وبعد وفاتها يعود مردود الجنة إلى زوجها المدعو مصطفى الانكشاري بولك باشي بن حسين حيث لوحظ من خلال الوثيقة الخاصة بوقف هذه السيدة المسجل فيها اسمها ونوع الوقف ومكانه والمنتفعين من مردوده أن هذه السيدة قد أبعدت زوجها من الانتفاع من مردود الوقف مادامت على قيد الحياة كما أن الوثيقة تعرفنا أيضا على الرتب العسكرية المتواجدة في الجزائر في تلك الفترة الزمنية فزوج صاحبة الحبس عسكري وله رتبة مهمة في الجيش هذا حسب ما ذكره الدكتور ناصر الدين سعيدوني في كتابه الوقف في الجزائر أثناء القرنين 12 و13 هـ / 18 و19 م

أنشأت العالية مدرسة لتعليم الفتيات وإيواء اليتيمات منهن بمنطقة سيدي عيسى وقد كانت تشرف عليها شخصيا. تزوجت رجلا يدعى محمد كرميش من منطقة بوسعادة كان يشتغل مدرسا للغة العربية بالجزائر العاصمة.

وفي المواسم الدينية، مثل عيد الأضحى كانت تقيم الولائم والذبائح للفقراء والمساكين وتكسبهم وتطعمهم، وتأوي عابري السبيل في منزلها وتقدم لهم ما يحتاجونه من عون.

وفي عام 1928 شدت العالية حمزة الرحال لأداء مناسك الحج رفقة والدتها ولم تكن تتجاوز آنذاك الـ 42 من عمرها، ولصعوبة السفر في ذلك الوقت توفيت والدتها ودفنت بالبقاع المقدسة. وعند عودة العالية إلى الجزائر كانت لها رغبة في وقف أرضها التي بالجزائر العاصمة والتي مساحتها 800 ألف متر مربع لتكون مقبرة للمسلمين. وهو ما كان حيث اتفقت مع السلطات الفرنسية على التنازل عن الأرض لتجعلها مقبرة لدفن موتى المسلمين، واشترطت أن تسمى المقبرة باسمها الأول "العالية". توفيت عام

الجبس سنة 1229

4 - تحببس **الوالية خديجة بنت**

منصور الشريف نصف الجنة الكائنة

بفحص عين السماء على والدي ولدها

الحاج محمد وهما الصادق ويمونة وأمها

نفسه بنت أحمد فللحرمين الشريفين

5 - تحببس **مريم بنت سعيد** جميع

الجنة الكائنة بفحص بئر مراد رايس

على نفسها ثم على أختها قامير ثم على

أولادها محمد ونفسه وخديجة وعائشة

أولاد الحاج العربي المغربي وأعقابهم ثم

للحرمين الشريفين

6- تحببس **الولية فاطمة بنت عيسى**

جميع الجنة الكائنة بضريح الشيخين

سيدي بوزيان وسيدي على بن الحاج

خارج المدية على الحرمين الشريفين

الفرع 2: وقف البحار والرقايع

1- تحببس **الوالية نفسة بنت فاضل**

الرقعة المذكور الرقعة على نفسها ثم

على من ذكر برسم التحببس والمرجع

للحرمين الشريفين

2 - تحببس **الوالية عائشة ابنة**

إبراهيم جميع الرقعة الكائنة بفحص

2- من النساء التي أوقفت أملاكهن

وقفا عاما (يؤول للحرمين الشريفين)

الفرع 1: وقف الجنانين

قد حبست حوالي 58 جنة لـ 58 امرأة

منها 38 وقف عام و 20 وقف خاص

قمنا بذكر بعض النماذج من الوقف

العام

1 - تحببس **الوالية آمنة بنت عثمان**

جميع الجنة الكائنة بفحص حيدرة على

ولدها محمد بن جعفر عرف مرطازة

وأعقابه ثم على شقيقه الشاب محمد

وأولاده ثم لشقيقته خديجة ومريم

وأعقابهم ثم للمحرمين الشريفين مكة

والمدينة

2 - تحببس **الولية قامير ابنة ابن**

الأغا جميع الجنة الكائنة بفحص تاجرة

على ابنتها آمنة ابنة الحاج محمد رايس و

أولادها وأعقابهم ثم للحرمين الشريفين.

3 - تحببس **الوالية فاطمة ابنة**

محمد بن سليمان القبطان جميع

الجنة الكائنة بفحص حيدرة على نفسها

ثم على بناتها آمنة ونفسه وأعقابهم ثم

للحرمين الشريفين سنة 1226 دخل

ذريتها والمرجع لمكة والمدينة بالقلعة

الفرع 3: وقف الديار

قد حبست 11 امرأة حبس عام ينتهي
للحرمين الشريفين و 35 امرأة حبس
خاص ينتهي على ذرياتها نذكر نماذج
فقط من الحبس العام

- حبست **الوالية مريم العمسنية**
جميع الدار وثلاث حوانيت على نفسها ثم
على وأولادها ثم للحرمين الشريفين

- حبست **الوالية خديجة بنت محمد**
نصف الدار الكائنة بحومة القائد
شعبان(بشرشال) تنتهي للحرمين
الشريفين .

- تحببس **الوالية خديجة بنت مولود**
جميع ثلاث أرباع من الدار الشرقية الباب
الكائنة بحومة الغنم قرب سيدي بوزيان
مع الجنان الكائن بفحص الفيض على
نفسها وأولادها وأعقابهم ثم الحرمين
الشريفين (بالمدية).

تحببس **الوالية رحمة بنت عبد**
الرحيم جميع دارها المعروفة بدار
عنقودة على نفسها ثم.... للحرمين
الشريفين

تقصرين على نفسها ثم على بنتها
حسنى وخديجة ابنة محمد بن يعقوب
وأعقابهم ثم للحرمين الشريفين

3 - تحببس **الوالية الزهراء بنت علي**
جميع المقسم المجاور لبلد سيدي علي
بن مبارك وجميع البحيرة المعروفة
ببحيرة عمارة على والدها بن كحطوط
علي وجميع الدار التي على ملكها المجاورة
لدار والي بلكوشي بالقلعة على ابنها
المذكور وأختها عائشة وأعقابهم ثم
للحرمين الشريفين

4 - تحببس **الوالية أمنة بنت الحاج**
عبد القادر الشريف جميع الرقعة
الكائنة خارج باب الوادي المجاورة
لضريح الشيخ سيدي يعقوب على نفسها
ثم على ولدها عبد القادر وأولاده ثم
للحرمين الشريفين.

5 - تحببس **الوالية عائشة بنت**
صراط جميع البحيرة خارج القلعة
المعروفة ببحيرة حمدوش على نفسها قم
على أعقابها وعلى الحرمين (بالقلعة)

6 - تحببس **الوالية عائشة بنت**
سليمان جميع نصف البستان مع
نصف البحيرة مع أحد ربع البحيرة وعلى

إلى الدور التاريخي العظيم مع إعطاء نماذج وليس إحصائي ، نتمنى أن لا نكون قد قصرنا في حق من لم نذكرهم لكثرة عددهن بالإضافة إلى بعض النساء التي عرفت في المجتمع قديما والذي يعود وقفهم إلى العهد العثماني أو ممكن إلى عهود اسبق منه وحتى العهد الفرنسي إلا أنهم لم يسجلوها أوقفهن لرغبة في أنفسهن لكن بقيت أعمالهم تتداول على السنة بعض المسنين الذين عاشوا تلك الحقب أو سمعوا عنهم وهنتك أسماء نسمع عنها دون أن نعي سبب شهرة هذه الأسماء لذا فإن هاته النساء تعتبر أكبر عدد مما مسجل وإن أحصوا فإحصائهن يبقى تقديري لا يشير للعدد الحقيقي.

للموضوع هوامش

-حبست الولية ملحّة بنت سليمان على نفسها ثم ابنتها فاطمة بنت محمد الدار ثم للحرمين الشريفين (بالقليلة)

الفرع 4: تحبّيس الأحواش

تحبّيس الوالية خديجة بنت حسن بن عبد الله الخياط جميع الحوش الكائن بواد الخميس من زمام علي بن عزوز ، كما حبست الجنة الكائنة بخنيس، حبست أيضا جميع الثلثين من الدار إسراف باشا وجميع الثلثين من العلوي والإصطبلين من الدار المذكور على ابنتها فاطمة بنت حمودة بن خوجة بيّري ثم على ذريتها وأعقابهم فإن انقرضوا رجع ثلث الحبس للمدينة و الثلث بين الجامع الأعظم وبين جامع السيدة وبين زاوية الشيخ سيدي و إلي دادة نفعا الله ببركاته.

وقد لوحظ في هذا الكتاب المعنون بالوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني للدكتور ناصر الدين أنه جمع النساء أحيانا حسب نوع الملكية الموقوفة وأحيانا أخرى ذكرهم تحت عناوين مختلف فهذه النسوة الوقفات التي ذكرناها في هذا المقال تبقى كنماذج لعدم إمكانية وضع كل النساء كون المقال وصفي يشير